أسعى إلى نتجه للشباب الذين سيقومون ببناء سورية

وضاح شاهين لـ«الوطن»: الذهبية لا تعني لي شيئاً ما يهمني هو القادم بمشاريع سينمائية ووثائقية

وضاح شاهين مع سعد مينة وزهير عبد الكريم ومازن عباس

مع أندريه سكاف

سوسن صيداوي

وأما بعد، ما حصل في الماضي شيء جميل، ولكن القادم هو الأهم كونه يجب أن يكون الأجمل. الجوائز والتقديرات– ولو كانت عالمية–هي أمر دافع ومحفّز، لكنه ليس الغاية، لأن الهدف هو سورية وتركيز الأبصار على الحقيقة السورية بصنّاع حضارتها، وفي الوقت الحالي بحراسها الصامدين والمحاربين، سواء أكانوا بالسلاح أم بالفكر، وماذا بعد، وحول القادم الأجمل، سيكون الشباب هم البنائين، وعلى الجهات المعنية احتواؤهم واستثمار أفكارهم وإبداعاتهم. من هذه المفردات انطلق حديث مخرج الفيلم الوثائقي «خبز وجرح» وضاح شاهين متمسكا بالإبداع الفني لقصص وحكايات من الواقع السوري يرويها أشخاص عاشوا المعاناة، والفيلم هو التعاون الثاني بين شاهين ومؤسسة «الوعد الصادق» وكان قد ذهب ريعه لمعالجة أكثر من ألف جريح مدني وعسكري كانوا ضحية الإرهاب، وجاء بعد فيلم «نصف القمر» الحائز الجائزة الذهبية في سيدني. الأخيرة التي لا تعني المخرج الشاب، لأنه ينطلق مع مجموعة من الشباب لتحقيق مجموعة من المشاريع الوثائقية، غايتها التركيز على الإنسان السوري وهمه وطموحاته، مع دعوة لكل من استطاع كي يقدم نفسه ويتعاون في المرحلة القادمة، وللحديث أكثر إليكم بالتفاصيل.

في نصف القمر

افتتح الفيلم الوثائقي «نصف القمر» في الأوبرا بمهرجان سيدني في أستراليا للأفلام العربية، وكان سعي المخرج شاهين في تجربته الثانية أن يقدم أمورا تلامس كل إنسان أينما كان بوطن أو من دون وطن، شارحا بتفصيل أكبر «الفيلم يوثق مرحلة بين عامي٢٠١٥ و٢٠١٦ كانت الحرب في سورية بذروتها، كما أنه توثيق حقيقي لشخصيات مدنية وعسكرية سورية قامت بأعمال بطولية. هنا أحب أن أشير إلى نقطة جد مهمة... للأسف هناك بعض المواقع وبعض الصفحات إضافة إلى بعض المحطات المحلية، قدمت الجريح السوري بطريقة الشفقة، ولكن هنا أؤكد أن هذا الطرح غير سليم. وبالعودة إلى فيلم «نصف القمر» نحن قلبنا المعادلة لأننا أردنا أن نوظف فكرنا بالطريقة الصحيحة». وحول اختيار التسمية أضاف المخرج إن التسمية جاءت بعد الانتهاء من التصوير ولوجود قاسم مشترك بين الشخصيات فيه، متابعا «كنت اتبعت أسلوب السرد في القصة من دون إظهار الإعاقة– أنا لا أسميها إلا وشوم السلام– للأشخاص، حيث كل فرد يمارس نشاطه اليومي بشكل طبيعي، مع الإضاءة على الجانب العاطفي بين كل واحد وشريكه وكيف تسببت الإعاقة في التخلي عنه. القصة الحقيقية للفيلم تبدأ مع بداية القسم الثاني عند لحظة الإصابة، والكشف عن سببها أو مكانها ومكان البتر، على حين في القسم الثالث يتحدث الفيلم عن العلاج للإعاقات وتطوير ذات الشخصيات، وأخيرا النهاية كانت بأن اثنين ممن أصيبوا وتعرضوا لبتر أطرافهم يسيران وقد سندا بعضهما، وهنا الرسالة الحقيقية للسوريين، بأننا يجب أن نمشي معاً ونتعاضد مع بعضنا كي نتجاوز كل العقبات والأزمات. أما بالنسبة للتسمية فلقد جاءت: إنه وبالرغم من أن نصف القمر هلال وهو مضيء إلا أن هناك جانباً مظلماً، ودائما هناك جانب مظلم ولولا هذا الجانب ما رأينا الجانب المضيء». لم ينس حاصد الجائزة الذهبية أن يتوجه بالشكر لكل من شارك معه في مشروعه «من خلال الفيلم أتوجه بالدعوة للجميع كي يتمثلوا بأبطال الفيلم لكونهم مبدعين وخلاقين رغم ظرفهم، كما أشكر هؤلاء الأبطال الذين شاركوا معنا، وكذلك أشكر الفنيين الذي هم من فنيي التلفزيون العربي السوري، ولجدارتهم ظن الحاضرون بالمهرجان أنهم من خبرات أجنبية ولكنني ركزت أنهم عملوا ضمن أبسط الوسائل والإمكانيات». وعن الجائزة عبر عن سعادته بها ومشددا على أنها ليست بالأمر الجيد إن لم يواصل متابعته واهتمامه بمشاريعه التي يسعى لتحقيقها «الذهبية لا تعني لي شيئا على الإطلاق، لأن ما يهمني هو القادم بمشاريع سينمائية ووثائقية، فأنا أحاول أن أسعى للأفضل وأن نتجه للشباب الذين سيقومون ببناء سورية بعد حمايتها، وخاصة أن الحرب جعلتهم ناضجين أكثر ومكنتهم من توسيع مدارك معرفتهم وزيادة الثقة بالقيادة والجيش».

> «إذا غنت فيروز» أول عمل عربي غير ناطق وتجرأنا وكتبنا به عن سورية ما بعد الحرب

من سورية إلى العالم

ينطلق المخرج وضاح شاهين بأفكاره من فكرة بأن أي مواطن مهما كان مثقفا إلا أنه معرّض للإصابة بنوع الألم، لذلك يبحث عن منفذ للهروب عبر الدراما والسينما، التي برأيه يجب أن تأخذ منحى يتوافق مع التطلعات في التوثيق الدرامي والسينمائي لأشخاص عانوا واقع الحرب ومعاناته، متابعا «يهدف مشروعنا «من سورية إلى العالم» إلى إنجاز خط فني جديد بفكر وأيد سورية مبدعة بمشاركة فنانين سوريين وعرب لتقديم سورية بشكل صحيح والرد على الصور المشوهة التي قدمتها بعض الأعمال الدرامية والسينمائية، من خلال إنجاز أفلام ومسلسلات تحاكي الواقع السوري وتنقل الصورة، إذاً هذا المشروع يبدأ من أصغر تفصيل سوري، فيمكن أن نبدأ مثلا من عامل نظافة إلى أن نصل إلى كبار المفكرين والعلماء السوريين، هذا ويشمل المشروع أغاني وفيديو كليبات ومسلسلات وثائقية، وهو بمشاركة مجموعة كبيرة من الشباب وأيضا أصدقائي كالمخرج كُميت حيدر وبإشراف: شادي مرتك». دائما التنسيق مطلوب واليد الواحدة لا يمكنها التصفيق لهذا دعا الشاب شاهين كل الجهات المعنية للمساهمة والتعاون في تحقيق حلم الشباب السوري «لا أستطيع القيام بهذا المشروع وحدي، ومن خلال جريدة «الوطن» أدعو الوزارات والمؤسسات للتعاون معنا، لننقل الصورة الصحيحة عن سورية، وخصوصا أن مشروعنا يستقطب أكبر عدد ممكن من الشباب إذ يفتح المجال أمام كل شاب مبدع ويستقطب كل تجاربهم، ، فنحن بحاجة إلى دم جديد، والجدير ذكره أن المشروع سيقدم عملاً كاملاً عن الجيش العربي السوري، مع تسليط الضوء على هم المواطن وما يعانيه من مشاكل، من خلال لوحات تحمل طابعاً كوميدياً».

وحول ما تقدمه السينما من أفلام تمثل الأزمة كان للمخرج الشاب رأي «هناك الكثير من الأفلام السينمائية التي يُضخ عليها ملايين الليرات، أنا أجدها فارغة المضمون، أين رسالتها وما غايتها؟ وأنا أرى أن بعضها مهدت بأن جيشنا هو عبارة عن سلاح وبارودة وأغفلوا الجانب الإنساني، ثانيا اختصرت الأطفال في سورية والوطن العربي في عصره، وكان قد جرى التخطيط والإعداد، بمكونات وخبرات سورية، للنهوض بالكتاب المدرسي للفئات الأولى في وزارة التربية، وكان صديقه ورفيق دربه في الإبداع، الشاعر سليمان العيسى، أفضل شريك له في هذا العمل.

بدأ ممتاز البحرة يعبر عن النصوص التي نشرت في الكتب إلى جوار لوحاته، رسم الريف والبادية والمدينة، رسم الأطفال والشيوخ والنساء والرجال، رسم الحيوانات التي يحبها الأطفال، رسم الأشجار المثمرة، وتحتها الناس يعيشون لحظات الاستجمام، رسم الأسرة السورية في كل تفاصيلها الحياتية، رسم الفلاح الملتصق بأرضه، والعامل المتفاني بعطائه في معمله، والمعلم والمهندس وصغار الكسبة. رسم الأطفال ذكوراً وإناثاً، وأبدع في رسم ملامح الوجه السوري النبيل، سليل الحضارة العريقة، فكان خير سفير لهذه الحضارة، وخير من جسد أبناءها في رسوماته، فقد كان يرسم أطفال الحارة والحيّ، يتلقف ملامح السوريين من حوله، ثم يهضمها في ذائقته البصرية، ويعيد صياغتها عبر ريشته دفقاً مميزاً من الخطوط والألوان، كان يرسم السوري الذي ينهض بأبنائه نحو المجد، كان يرسمنا وعرائس الزيت والزعتر في حقائبنا إلى جانب كرّاسات الكتابة والرسم.

القادم... إذا غنت فيروز

في المشروع القادم تحدث المخرج وضاح شاهين عن فيلم سينمائي بعنوان «إذا غنت فيروز» وهو من تأليفه، مشيرا إلى أن الفيلم يمثّل شخصيات ترمز إلى تفاصيل الواقع السوري، متابعا «مشروع (إذا غنت فيروز) تمت قراءته في لجنة كان، وقالوا إذا نُفذ النص كما كُتب فسيحصل على السعفة الذهبية. المشروع يختزل ما حدث في الحرب، فهو أول عمل عربي غير ناطق، ويوثق مرحلة سورية مهمة، وتجرأنا وكتبنا عن سورية في مرحلة ما بعد الحرب، بطريقة منطقية يقبلها كل عقل، ومن الشخصيات التي ستشارك بالفيلم: سعد مينا، نبيل فروج، كُميت حيدر، محمد حسن المشارك في التمثيل والكتابة. الفكرة عالمية ويمكن تسويقها، وهنا أطالب بأن نغيّر السوق، فليس من الضروري أن نبيع للخليج، بل يمكننا التوجه إلى آسيا مثلا وإفريقيا، هذا وبدلا من أن ندبلج أعمال الآخرين، لندع الآخرين يأخذوا أعمالنا السورية ويقوموا ببدلجتها، لأنني أتمنى وأطمح أن يصل صوتنا كشباب سوري عانى الحرب ولكنه لم يخسر».

كاتب وقضية

د. رحيم هادي الشمخي

الكاتب يستخدم الكلمات سلاحاً لتغيير العالم، ولأن العالم لا يتغير بالكلمات، ولأن الكاتب مصرّ على استخدام هذه الأداة لا لزحزحة الصخرة فحسب، بل أيضاً لشحن المحاولة بجمال الفشل النبيل.

من هنا كان الكاتب في تصنيف ما، بطلاً تراجيدياً، البطل الذي يموت وفي فمه كلام لم يقله بعد، وفي يده قلم أجبرته المحاة على حذف المقطع الأخير من النص الكريم.

إن إدوارد سعيد الفلسطيني، وإدوارد سعيد العالمي، اجتمعا في ظلال مقدسية الحق الذي لا تشوبه شائبة، اجتمعا لكي يصححا خطأ التاريخ الابتدائي حيث يقتنع الكثيرون، وراء وأمام صناع القرار الأميركي، بأن المواطن الفلسطيني طارئ على التاريخ، وأن اليهودي بنى بابه الأول قبل ثلاثة آلاف عام، وكان على السياسة والثقافة أن تقنع «إسرائيل» باقتسام فلسطين التي لا تقتنع إلا باقتسام الضفة.

عندما رمى حجراً على الجنود الإسرائيليين وراء السياج الحدودي في جنوب لبنان في حركة رمزية إلى شراكة المثقف الحواري مع المقاومة، قامت الدنيا عليه بوصفه أكاديمياً يدير النقاش حول كل شيء في التاريخ والأدب والموسيقا، وبوصفه جناحاً لحمامة تطير على جانبي الصراع، ولكن ثمة جهل بشخصية الرجل، فهو مقدسي ومصري ولبناني وأميركي بالتتابع المكاني، وهو يعرف تلك القضايا الكبرى في عصرنا: القهر، الاستعمار، التخلف، الديمقراطية، السلام، العدالة، يعرفها ويعرفها، ولقد عاش مناضلاً في سبيلها، (ألم ينجب التاريخ الثقافي الفلسطيني عبقرية تضاهي إدوارد سعيد، المتعدد المتفرد، ومن الآن حتى إشعار آخر بعيد سيكون له الدور الريادي الأول في نقل اسم بلاده الأصلية من المستوى السياسي الدارج إلى الوعي الثقافي العالمي).

هكذا ينظر أحد الشعراء الفلسطينيين البارزين على الضفة الجمالية لوعي فلسطين.

قال نيتشه عن دانتي (إنه ذهب يكتب أشعاراً بين القبور) قد يكون هذا حال المثقف والكاتب الإسرائيلي الذي سيكتب بين الدبابات، أو الآن خلف جدار فاصل، فإذا استعرنا لإدوارد سعيد الراحل عن عالمنا فإنني أتذكر ما قاله شاعر إنكليزي ينطبق عليه (كنت قائداً في معركة، كنت سيفاً في يد، كنت جسراً يقطع سبعة أنهار، وسحرت على شكل زبد بحر، وكنت نجمة، كنت شجرة، كنت عالماً في كتاب وكنت كتاباً...).

ممتاز البحرة صانع ذاكرة بصرية ثرية لجيل كامل

ما يميزه هو ذلك الثراء في الشخصيات التي أبدعها في تقديم أنماط الرسوم في فن القصة الطفلية

سارة سلامة

إن ما يميز الفنان ممتاز البحرة، إضافة إلى رسومه المتقنة، وألوانه الجميلة، هو ذلك الكمّ الكبير والثريّ من الشخصيات التي أبدعها، والتنويع في تقديم أنماط الرسوم في فن القصة الطفلية، فمن بيئة التراث القديم إلى البيئة المحلية المعاصرة، ومن الرسوم الخيالية إلى الكاريكاتير والرسم الساخر، وضمن سلسلة إعلام ومبدعون صدر عن وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، كتيب بعنوان «ممتاز البحرة»، للكاتب رامز حاج حسين، وذلك للتعريف به وتخليداً لذكراه العالقة في أذهان كل سوري وعربي.

وذكر الكاتب في المقدمة: «أن هذه رحلة عبر بحر اللون، وأحاسيس الريشة الغنية المرهفة فوق ناصع بياض الأوراق، رحلة لتقديم تحية، ولو بسيطة، إلى روح فنان خالد في وجدان السوريين، فهو من صنع ذاكرة بصرية ثرية لجيل كامل، فكلنا يعرف باسماً ورباباً، وكلنا يعرف شخصية أسامة، وكلنا يعرف ممتاز البحرة الذي أبدع في مجال رسوم القصة المصورة في فترة السبعينيات والثمانينيات، حتى نهاية الألفية المنصرمة، وقدم لمكتبتنا السورية والعربية العديد من الشخصيات والرسوم التوضيحية المزينة لمجلات تلك الحقبة، ولما كان يرسم لنا قصصنا الطفليّة، كان من حيث لا يدري يبث من روحه فيها، ليرسم أنفسنا أيضاً».

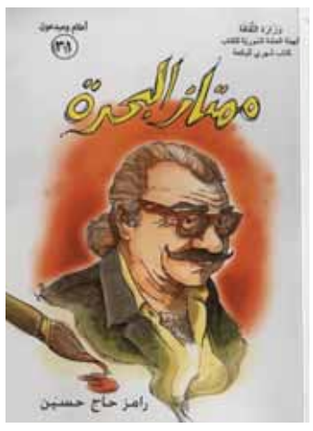

نشأته

ولد محمد ممتاز البحرة في التاسع من أيار عام ١٩٣٨ في حلب، وهو ينتمي إلى أسرة دمشقية عريقة، أسرة البحرة، التي انتقلت إلى حلب بسبب عمل الوالد الرياضي الفاضل محمود البحرة الذي كان يعمل حينها مفتشاً لمادة التربية الرياضية في مدينة حلب.

ونشأ البحرة في كنف والديه محباً للعلم والدراسة، مقتدياً بوالده المربي الفاضل الذي زرع فيه منذ نعومة أظفاره حب العلم والتعليم والرقي في العطاء، في مرحلة ذهبية كان دور المعلم فيها يحتل الريادة والتقدير من المجتمع السوري كله.

وعادت الأسرة لتستقر في دمشق، وقد عاش ممتاز طفولته وشبابه في بيئة دمشقية محافظة.

كان أكبر إخوته، لذلك تقلد منذ الصغر شؤونهم ومساعدة والديه في الاهتمام بأمور البيت، شأنه شأن كل الأبناء البكور في الأسر السورية، الذين غالباً ما تلقى على عواتقهم مثل هذه المسؤوليات، ليشبوا عن الطوق رجالاً صغاراً يحملون إلى جانب فطرتهم الطفولية النقية مسؤولية تكبر سنيهم بأعوام. فكان أن نشأ مع البحرة حبه للاستقلالية، والعمل على رسم ملامح هواياته وطموحاته بالجد والمثابرة والدأب.

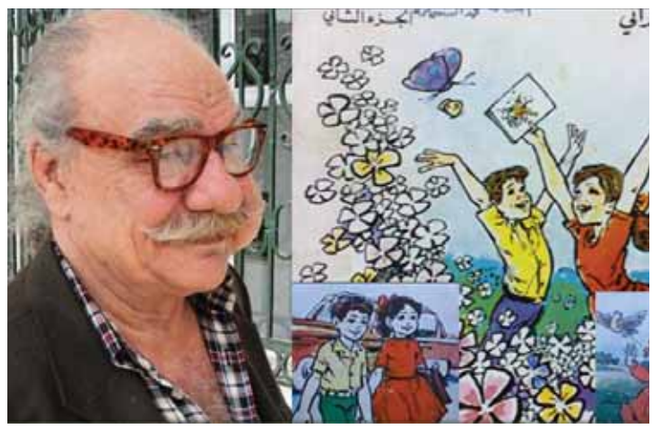

رحلة الدراسة

بدأ ممتاز دراسة الفنون الجميلة في مصر بمدينة القاهرة، إبان الوحدة بين سورية ومصر، وكان له من الرفقاء من هم أصحاب أثر فنّي بارز في الحياة التشكيلية السورية، ونذكر من زملاء دراسته في مصر نذير نبعة، وغازي الخالدي رحمهم الله جميعاً، وبدأت رحلة ملؤها الفن واللون والعطاء.

وتلقى في تلك السنوات أصول فن اللوحة والتشريح، وكان طالباً نجيباً ما يدل على نبوغ فنه الذي نما فيما بعد، حيث تلاحظ القدرة المذهلة للفنان ممتاز البحرة في رسم الجسد البشري في كل وضعياته، وبكل تفاصيله التشريحية، وقد حدثتنا الفنانة لجينة الأصيل في إحدى زياراتها إلى مجلة أسامة، ما يشبه الاعتراف من كل أقران الفنان ممتاز البحرة بتفوقه الفني في هذا المجال: «كنا كلنا نتحايل على رسم الأيدي وزوايا الجسد لكي نهرب من رسم التشريح للكف والأصابع.. إلا ممتاز، فقد كان يطلب الزاوية الصعبة لينفذها، ومن ثم يبهرنا بالنتيجة بتلك القدرة التشريحية الهائلة التي يملكها».

فنان الطفولة الأول

يعد ممتاز البحرة من أهم رسامي أدب الأطفال في سورية والوطن العربي في عصره، وكان قد جرى التخطيط والإعداد، بمكونات وخبرات سورية، للنهوض بالكتاب المدرسي للفئات الأولى في وزارة التربية، وكان صديقه ورفيق دربه في الإبداع، الشاعر سليمان العيسى، أفضل شريك له في هذا العمل.

بدأ ممتاز البحرة يعبر عن النصوص التي نشرت في الكتب إلى جوار لوحاته، رسم الريف والبادية والمدينة، رسم الأطفال والشيوخ والنساء والرجال، رسم الحيوانات التي يحبها الأطفال، رسم الأشجار المثمرة، وتحتها الناس يعيشون لحظات الاستجمام، رسم الأسرة السورية في كل تفاصيلها الحياتية، رسم الفلاح الملتصق بأرضه، والعامل المتفاني بعطائه في معمله، والمعلم والمهندس وصغار الكسبة.

رسم الأطفال ذكوراً وإناثاً، وأبدع في رسم ملامح الوجه السوري النبيل، سليل الحضارة العريقة، فكان خير سفير لهذه الحضارة، وخير من جسد أبناءها في رسوماته، فقد كان يرسم أطفال الحارة والحيّ، يتلقف ملامح السوريين من حوله، ثم يهضمها في ذائقته البصرية، ويعيد صياغتها عبر ريشته دفقاً مميزاً من الخطوط والألوان، كان يرسم السوري الذي ينهض بأبنائه نحو المجد، كان يرسمنا وعرائس الزيت والزعتر في حقائبنا إلى جانب كرّاسات الكتابة والرسم.

شخصيات أبدعتها ريشته

إن ما يميز الفنان ممتاز البحرة، إضافة إلى رسومه المتقنة وألوانه الجميلة، هو ذلك الكم الكبير والثري من الشخصيات التي أبدعها، والتنويع في تقديم أنماط الرسوم في فن القصة الطفلية، فمن بيئة التراث القديم إلى البيئة المحلية المعاصرة، ومن الرسوم الخيالية إلى الكاريكاتير والرسم الساخر.

أسامة، شخصية البطل التي أبدعها ممتاز البحرة منذ الأعداد الأولى من مجلة أسامة عام ١٩٦٩، ذلك الطفل الأنيق بقميصه الأخضر، وصدريته البرتقالية، ثم تلك التسريحة التي تدل على حسن العناية بالمظهر، كأن الفنان ممتاز البحرة يقول لأطفال سورية حينها: «كونوا كأسامة»، وحين ننظر إلى تفاصيل ذلك الوجه الأسمر بحاجبيه الكثّين، نعرف أن البحرة، كان يرسمنا نحن على شكل أسامة، بكل تفاصيلنا السورية المحببة.

حديدان: تطرق إلى لون رسم الحيوانات وأنسنتها، وقد كانت مغامرة حديدان المأخوذة من الأثر الشعبي السوري مثالاً واضحاً، يعكس قدرة هذا الفنان على التقاط مفردات تشريح الحيوان «الأرنب مثالاً»، ثم توظيفه حسب المشهد والحركة الدالة على الحدث، ويمكننا أن نختصر هذه الرحلة في خطوط ممتاز البحرة وتجسيده أهم شخصيات مجلة أسامة بالقول: «شيخ الكار نفخ في ريشته من روحه ألحاناً، فلا بد من أن تجد نغماته صداها في روح كل من يرى رسوماته وشخصياته الطفلية».

ترجل أمير اللون

في صباح يوم الإثنين ١٦ كانون الثاني ٢٠١٧، وعن عمر ناهز التاسعة والسبعين، سقطت دواة الحبر مع الريشة المعدنية، واندلحت الألوان في سماء دمشق.

ومطر خفيف انهمر كنوع من الوداع لصاحب المقام الرفيع في إسعاد أطفال سورية، وترجل أمير اللون والريشة الجميلة، وأعلن لأطفال سورية وداعه الأخير بابتسامة وأمل بمستقبل جميل للذين رباهم، ورسم لهم الفرحة طوال سني طفولتهم.